Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجَلّةُ تَسْنِيمِ الدَولِيّة
للعُلومِ الإِنسانيّةِ والاجتِمَاعيّةِ والقانونيّةِ

العدد العاشر – أيلول / September 2024

الاعجاز القرآني
في ضوء المعطيات المعرفية المعاصرة

أ.د. محمد كاظم الفتلاوي[1]، م.د. نصير علي موسى شكر[2]

[1] جامعة الكوفة / كلية التربية المختلطة – العراق
[2] جامعة الكوفة / كلية التربية الاساسية – العراق

n.shokr90@gmail.com

ملخص. يعد الإعجاز القرآني من مباحث علوم القرآن الهامة، إذ تتوقّف عليه جملة من المسائل، لذا كانت هذه المسألة مدار بحث ومحط أنظار العلماء والباحثين، اذ كتبت في هذا الموضوع عشرات المؤلفات والأبحاث. تنوعت تلك البحوث والدراسات في مضامينها، فمنها ما تناول الإعجاز البلاغي، ومنها ما بحث في الإعجاز العلمي، والعددي، والغيبي وغيرها من وجوه الإعجاز القرآني. في هذا البحث يحاول الباحث إبراز (الإعجاز التربوي) الذي يمكن أن يكون من وجوه الإعجاز القرآني المعاصرة، إذ فشلت جميع النظريات التربوية التي وضعها فلاسفة الغرب في مجال التربية الإنسان، والتي أملوا من خلالها الوصول بالإنسان إلى حالة الاستقرار النفسي والسمو الروحي، فعاد إنسان اليوم أكثر قلقاً واضطراباً، إذ لم تفلح النظريات التربوية في الإجابة عن أسئلة الإنسان الكبرى، والشيء الملاحظ أنّ تلك النظريات تتعارض فيما بينها وتتقاطع، وما كانوا يعتمدونه بالأمس، جاؤوا اليوم لينقضونه، وهذا ما نراه جليّاً في دخول الغرب في مرحلة ما بعد الحداثة. وعلى العكس من ذلك، نلحظ أنّ مضامين القرآن التربوية لها سمت الثبات؛ إذ تُجيب عن أسئلة الإنسان الكونية الكبرى، الأمر الذي يورث الإنسان حالة الطمأنينة، ويعرف بل يتيقن من أين جاء، وما هو دوره الآن، ومآله إلى أين.

الكلمات المفتاحية: الإعجاز القرآني، النظام التربوي، التفسير.

Abstract. The Qur'anic miracle is one of the important topics of Qur'anic sciences, as a number of issues depend on it. Therefore, this issue has been the subject of research and the focus of attention of scholars and researchers, as dozens of books and research have been written on this subject. These researches and studies varied in their contents. Some of them dealt with the rhetorical miracle, and some of them examined the scientific, numerical, and metaphysical miracles and other aspects of the Qur'anic miracle. In this research, the researcher attempts to highlight the "educational miracle," which could be one of the contemporary aspects of the Qur'anic miracle, as all the educational theories developed by Western philosophers in the field of human education, through which they hoped to bring man to a state of psychological stability and spiritual transcendence, have failed, so today's human being has returned. More worrying and turbulent, as educational theories have not succeeded in answering humanity's greatest questions, and what is noticeable is that these theories conflict with each other and intersect, and what they adopted yesterday, they came today to refute, and this is what we see clearly in the West's entry into the post-modern stage. On the contrary, we note that the educational contents of the Qur'an are consistent. It answers man's major universal questions, which gives man a state of tranquility, and he knows, and is even certain, where he came from, what his role is now, and where he is going.

Keywords: Quranic miracle, educational system, interpretation.

المقدمة:

جاء القرآن الكريم مُعجزاً لفصحاء للعرب وبلغائهم، وتحدّاهم بالإتيان بسورةٍ من مثله، والتحدّي قائم إلى أن يرث سبحانه الأرض ومن عليها.

والسؤال المطروح هو: هل اقتصر الإعجاز القرآني على الجانب اللغوي والبلاغي فحسب؟ أم هناك جوانب إعجازية أخرى تتماشى مع عالمنا المعاصر؟

وهل يمكننا من خلال الجانب اللغوي والبلاغي الانطلاق نحو العالم ومخاطبته؟ كيف نخاطبهم وهم لا يفقهون اللغة العربية فضلاً عن معرفة أسرارها ونكاتها البلاغية؟

بكل تأكيد أنّ هذا لا يعني عدم أهمّية بحوث اللغة العربية ودراساتها المتعلّقة بالقرآن الكريم، فـ(إثبات الشيء لا ينفي ما عداه) كما هو معروف، إلّا أنّ الحاجة تستدعي الإجابة على سؤال ملحّ ومحوري، وهو كيف يكون القرآن حجّة على غير الناطقين باللغة العربية، وغير العارفين لها، وغير المطّلعين على أسرارها البلاغية؟

سبب اختيار الموضوع:

جاء هذا البحث للنظر في وجوهٍ إعجازية أُخرى، منسجمة مع زماننا هذا، تكون حجّةً على الإنسان العربي وغير العربي، إيماناً منّي واعتقاداً بقول إمامنا جعفر الصادق (عليه السلام): «إنّ القرآن حيٌّ لم يمت، وإنّه يجري كما يجري الليل والنهار...».

مشكلة البحث:

يعتقد الباحث أنّ المضامين التربوية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية والنفسية و... التي تضمّنها القرآن الكريم هي ما يمكننا بواسطته مخاطبة العالم، وهي من يخرج بعظمة القرآن من النطاق المحلي إلى العالمي؛ إذ أنّ المضامين التربوية لا تفقد رونقها وعظمتها حتّى لو تُرجمت إلى كلّ لغات العالم، وهذا بعكس ما لو تمّ ترجمة آيات القرآن الكريم إلى اللغات الأُخرى، فإنها ستفقد ترابطها العضوي وبنائها القائم بين كلّ كلمة وكلّ آية؛ إذ من المعلوم أنّ الترجمة تقضي على الجوانب الأدبية والبلاغية، خصوصاً وأنّ اللغات الأُخرى ليس لها ما للعربية من عمقٍ ودقّة وصفٍ. وقد انتظم هذا البحث في تمهيد وثلاثة مباحث ثمّ الخاتمة وأهمّ النتائج التي توصل لها البحث.

تمهيد

تعريف الإعجاز القرآني وأهميته

في البدء لابدّ من تعريف الاعجاز في اللغة والاصطلاح:

الإعجاز في اللغة:

الإعجاز لغة : الفوت والسَبق، يقال أعجزني فلان، أي فاتني (الفراهيدي، 1409هـ: 1/ ٢١٥).

المعجزة اصطلاحاً:

عرّف السيد الخوئي المعجزة بأنّها: «أن يأتي المدعي لمنصب من المناصب الإلهية بما يخرق نواميس الطبيعة ويعجز عنه غيره شاهداً على صدق دعواه» (الخوئي، 1975م: ص33).

فالمعجة هبة من الله تعالى لمن يختاره من عباده، وهي غير خاضعة للأسباب والمسببات، ولا يمكن لأحد الإتيان بها عبر الجهد والبحث والكسب الذاتي.

إعجاز القرآن: هو إظهار صدق النبيّ (صلّى الله عليه واله وسلّم) في دعوى الرسالة بإظهار عجز العرب عن معارضته في معجزته الخالدة – وهي القرآن– وعجز الأجيال بعدهم عن ذلك. وذلك أن القرآن قد سما في علوه إلى شأو بعيد بحيث تعجز القدرة البشرية عن الإتيان بمثله، سواء كان هذا العلو في بلاغته، أو تشريعه، أو مغيباته (الحسني، (د،ت): بحث منشور على شبكة الانترنت).

1 .المبحث الأول: عرض لمجالات الإعجاز القرآني

1.1. المطلب الأول: عرض مختصر لمسيرة المؤلّفات في الإعجاز القرآني:

دأب أكثر القدماء ومن تبعهم من المتأخرين والمعاصرين على حصر الإعجاز القرآني بعددٍ محدود من مجالات الاعجاز، وعلى الخصوص (الاعجاز البلاغي) بما يشتمل هذا المجال من أنواع الإعجاز في المعاني والبيان والبديع.

فقد رأى أبو الحسن الرماني (ت386ه) أنّه وجوه الإعجاز البلاغية سبعة، وتحتها عشرة أقسام وقام بتفصيل الحديث عنها (الرماني، (د.ت): ص69). في حين أشار القرطبي إلى عشرة وجوه بلاغية (القرطبي، (د.ت): 73/1.). وزاد أبو الحسن الماوردي الشافعي (450ه) تلك الوجوه البلاغية حتّى أوصلها إلى عشرين وجهاً (الرازي، 2017م: ص55). وقال الزركشي بأنّها أحد عشر وجهاً (الزركشي، 1957م: 106/2). وهكذا الفيروزآبادي قال بأنّها اثني عشر وجهاً. وجاء الجرجاني (ت471ه) ليدلي بدلوه، ويقول بأنّ النظم هو سرّ إعجاز القرآن الكريم، إذ يقول: «ليس شيئاً غير توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين الكلم» (الجرجاني، (د.ت): 43). أمّا السيوطي فقد ذكر وجوهاً كثيرة في الإعجاز، أوصلها إلى خمسة وثلاثين وجهاً، وختم قوله بعبارة: أنّه لا نهاية لوجوه إعجاز القرآن الكريم (السيوطي، 1996م: 4 / 1 – 17).

أمّا المعاصرون، كالزرقاني، ومحمد أبو زهرة، والرافعي، ومحمد عبدالله دراز فهم أيضاً قد ساروا على ما سار عليه القدماء في تعداد الوجوه نفسها، وإن حاول بعضهم الخروج شيئاً ما عمّا كُتب سابقاً كالرافعي ودرّاز.

العدد العاشر – أيلول / September 2024

وذهب آخرون إلى اعتبار المغيّبات التي أشار لها القرآن الكريم، سواء منها التي وقعت أو التي ستقع، وعدّوا ذلك من الإعجاز الغيبي، في حين تبنّى آخرون نظرية الصرفة وعدّوها وجهاً من وجوه الإعجاز، وفي زماننا هذا اتجه بعض الباحثين إلى الإعجاز العلمي، والعددي والطبي( ).

والنتيجة التي نخرج بها من مطالعة واستقراء هذه المصادر أنّ بينها تداخلاً كبيراً، وتكراراً ملحوظاً، وخلطاً كبيراً أيضاً إذ عدّ بعضهم خصائص القرآن جوانب إعجازية، والقاسم المشترك بينها هي أنّ تلك الدراسات تتعلّق ببلاغة القرآن وبيانه، وهنا سأحاول تسليط الضوء على الإعجاز اللغوي، بوصفه أهمّ ركن من أركان الإعجاز عند الدراسات السابقة، ومن ثمّ أشرع – في المطلب الثاني – بعرض أحد أهمّ وجوه الإعجاز المعاصرة.

1.2. المطلب الثاني: الإعجاز اللغوي:

اللغة كلمة جامعة لأقسام شتّى من العلوم، فاللغة تشتمل على مستويات مختلفة، تتمثل في: الصوت، الصرف، التركيب، البيان، الدلالة، معاني الألفاظ...، وقد أبدع العلماء المتقدّمون والمتأخرون والمعاصرون في الكتابة في هذه المجالات كلّها، ولا عجب في ذلك، إذ أنّ للّغة ما ليس لغيرها من التأثير في المخاطب، وفي هذا الصدد يقول القاسمي وفي وصف تأثير اللغة وبيان أخذ الأوائل بأعلى فنون البلاغة إذ يقول: «لقد كان العرب في عصر نزول القرآن فرسان الكلام، وأساتذة فنون القتال، وقد خصوا في البلاغة والحكم ما لم يُخصّ به غيره من الأمم، وأوتوا من ذرابة اللسان ما لم يؤت إنسان، ومن فصل الخطاب ما يأخذ بالألباب، جعل الله ذلك طبعاً وخلقة، وفيهم غريزة وقوة، يأتون منه البديهة بالعجب، ويُدلون به إلى كلّ سبب، فيخطبون بديهاً في المقامات، وشيد الخطب، ويرتجزون به بين الطعن والضرب، ويمدحون ويقدحون، ويتوسلون ويتوصلون، ويرفعون ويضعون، فيأتون بالسحر الحلال، ويطوّقون من أوصافهم أجمل سمط اللآلي، فيتخذ عون الألباب، ويذللون الصعاب، ويذهبون الإحن، ويهيّجون الدفن، ويجرؤون الجبان، ويبسطون يد الجعد البنان، ويصيّرون الناقص كاملاً، ويتركون النبيه خاملاً» (القاسمي، 1418هـ: 75/2).

ولنا بعد هذا النص أن نستوحي عظيم أثر اللغة وكبير أثرها في المخاطب، إذ تقلبه من حالٍ إلى حال، فللكلمة ما لغيرها من قوّة التأثير في المخاطب، وللكلمة قوّة هائلة تُحدث أثرها في المحلّ الذي تُلقى فيه، فبكلمة نؤمن، وبكملة نكفر، وبكلمة نتزوّج، وبكلمة نطلّق، وبكلمة نرتقي المعالي، وبكلمة تُقام الحرب، وبكلمة تُدفع الفتنة.

وليس العرب وحدهم من تنبّه إلى تأثير الكلمة وقوتها، فقد انتبه علماء الغرب إلى أهمّية اللغة وأثرها الكبير وفعلها العظيم أيضاً، فعكفوا على الدراسات اللغوية بشكلٍ كبير، وصدّروا نظريات كثيرة في دراساتهم للظاهرة اللغوية وتأثيرها ودلالاتها، يتجلّى ذلك واضحاً في كمّ وكيف الدراسات اللغوية التي أنتجوها، إذ عدّوا مسألة اللغة من أهمّ المشكلات التي تواجههم (الفلسفة الألمانية الحديثة، (د.ت): ص106).

وبعد هذا، فلا نستغرب من قوّة الكلمة، وما تكتنزه من طاقة هائلة، جعلت من الأخ يقف أمام أخيه في الحرب، والابن يواجه أباه، والأُم تتبرأ من ابنها؛ إذ أثّرت فيهم كلمات القرآن الكريم وأخذت مكانها في نفوسهم، فكانت تلك الكلمات المعجزة عابرة لكلّ العلاقات النسبية والسببية ومحطّمة لها.

والمتحصل من ذلك كلّه، أنّ الجهود في غالبها صُبّت في إظهار الإعجاز البلاغي، والسؤال المطروح هنا:

ألم تكن هناك وجوه أُخرى يمكن الاستدلال بها غير اللغة؟

وهل يمكن الاحتجاج باللغة العربية على غير العرب؟ هذا مع فرض أنّ العرب المتأخرين والمعاصرين يفقهون اللغة العربية كما كان الأوائل يفقهونها، إذ أنّ اللغة عند الأوائل كانت فتهّم وطبعهم وسجيّتهم المتأصّلة في نفوسهم، وفرق كبير بين من طبعه اللغة وبين من تطبّع عليها، ويشير القاسمي إلى هذه الحقيقة بقوله: «جعل الله لهم ذلك طبعاً وخلقة، وفيهم غريزة وقوّة، يأتونه منه البديهة بالعجب...» (القاسمي، 1418هـ: 75/2)، فالسجية والخلقة والغريزة والطبع شيءٌ، والتطبّع والتعلّم شيءٌ آخر.

وهنا أشير إلى روعة ما أشار له السيد محمد الحسيني الشيرازي بقوله: «إنّ التحدّي عام في الإتيان بمثل هذا القرآن بأية لغة تريدون وسترون أنّ هذا القرآن سيظل المعجز الممتنع عن التقليد على جميع المخلوقات، فإعجازه جامع بين بلاغته وأسلوبه وروعة نظمه وسمو طبيعته، وبين ما احتواه من المبادئ والأسس.. وبين تأثيره في السامعين، وروحانيته القوية النافذة...» (الشيرازي، (د.ت): ص119 – 120).

ويضيف في نصٍّ آخر فيقول: «إنّ التحدي القرآني – لا يعني كما يذهب الجهلة – أنّه بضع دراسات كلاسيكية في البلاغة والأدب، يجترها من لا يفهمها، ويلوكها من لا يهضمها، فيتشنج صاحبها على دراسات سطحية لا تستوعب من شؤون التحدي شيئاً، ولا تصلح لتجليته على الصعيد الإسلامي ولا على الصعيد العالمي، وقد فشل أصحابها فشلاً تاماً في تبليغ التحدي للعالمين» (الشيرازي، (د.ت): ص19).

العدد العاشر – أيلول / September / 2024

وهذا بالضبط ما قصدته وما أرمي إليه في هذا البحث؛ إذ لقائل أن يقول متسائلاً: إذا كان الإعجاز اللغوي حجّة على العرب، فهو بالتأكيد ليس حجّة على غير العرب، فهم لا يفهمون العربية ولا يتخاطبون بها، ومن ثَمَّ فالقرآن الكريم ليس حجّة عليهم، وأنتم تدّعون عالمية القرآن وحاكميّته على جميع البشر من زمان الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها، فكيف تردّون؟ وما السبيل إلى الخروج من هذا الإشكال؟ والواقع أنّه سؤال علميٌّ ودقيقٌ وفي محلّه.

هنا سأقف عند عبارة السيد الشيرازي آنفة الذكر إذ يقول: (ما احتواه من المبادئ والأُسس) لأسلّط الضوء على المعاني السامية والمضامين العالية الّتي يمكن أن أجملها بكلمة واحدة وهي (بناء الإنسان وتربيته) إذ يقول سبحانه: {الر كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلى صِراطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} (سورة إبراهيم: الآية 1)، فعلّة إنزال الكتاب هي إخراج الناس من الظلمات إلى النور، في الأزمان كلّها، وفي الأمكنة جميعها، ومن المسلّم به أنّ اللغة العربية لا يسعها أداء هذه المهمّة، فإنّ نطاقها محصور في الناطقين باللغة العربية، أمّا النطاق التأثيري للمضامين التربوية فغير محدود بمكان أو زمان، وهذا ما يثبت عالمية القرآن الكريم وخلوده، وأنّه للبشر كافة {وَما أَرْسَلْناكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ} (سورة سبأ: الآية 28)، وهذا ما سأتناوله في المطلب الثاني، إن شاء الله تعالى.

2 .المبحث الثاني: النظام التربوي القرآني المعجز

2.1. توطئة:

سأتناول في هذا المبحث مجالاً واحداً من مجالات الإعجاز القرآني المعاصر، وهو مجال التربية، إذ كانت التربية الصالحة ولا زالت وستبقى هي الغاية الأساس والهدف الأسمى الذي سعت إليه السماء عبر إنزالها الكتب، وإرسالها الأنبياء (عليهم السلام)، وسيكون ذلك عبر مطلبين:

إنّ نظرةً فاحصةً لإنسان اليوم، تدلّنا بوضوح على مدى التخبّط والتيه الذي يعيشه أفراد عالمنا، على الرغم من التطوّر العلمي والتقني الهائل والمتسارع؛ إلاّ أنّنا نلحظ التهاوي الروحي والنفسي المتسارع أيضاً، ممّا ترك إنسانَ اليوم في حيرةٍ من أمره؛ إذ أضاع أصل الطريق، وابتعد عن معرفة فلسفة وأساس وجوده، ذلك الطريق الذي أشار إليه القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ (سورة الانشقاق: الآية 6).

وهذا ما أوضحه إمامُنا أميرُالمؤمنين عليُّ بن أبي طالب صلوات الله عليه بكلماته النوريّة إذ يقول (عليه السلام): «رحم الله امرءاً أعدَّ لنفسه واستعدّ لرمسه، وعلم من أين وفي أين وإلى أين»، فقد أشار الإمام (عليه السلام) إلى المبدأ، والحياة، والمصير، وأجملها إجمالاً عزّ نظيره في هذه الكلمة المباركة.

والواقع أن سبب التردّي المتلاحق في مجتمعاتنا الإسلامية وفي جميع المجالات يعود إلى هجران الأُصول التربوية القرآنية، تلك الأُصول التي أودعها الله سبحانه في كتابه الكريم.

لقد استشعرت الأُمم أهمّية التربية وخطورة مكانتها، والدورَ الرئيس لها؛ لذا سعى مفكّروها ومنظِّروها إلى إرساء الأُسس التربوية التي من شأنها النهوض بالمجتمعات، وكان للفلاسفة الأثر البارز في جميع العصور في وضع القواعد الكفيلة – كلٌّ حسب منطلقاته الدينية والفكرية والمجتمعية – بنهضة مجتمعاتهم، فكتبوا وألّفوا في التربية وفلسفتها، وبحثوا في أنجع الطرق وأفضلها للرقي بالفرد والمجتمع، فوضعوا نظرياتٍ في ذلك، أفرط بعضهم، وفرَّط آخرون، فجانبوا الصواب؛ خصوصاً وأنَّ ذلك النتاج لم يستند إلى ركنٍ وثيق فيأمن الخطأ، بل قامت النظريات الوضعية – في غالبها – باستبعاد كلّ ما يأتي من عالم الغيب، واعتبار ذلك من الأُمور التي لا يمكن التسليم بصحّتها؛ نظراً لطغيان المادّة والتجريب على تفكير أولئك الفلاسفة وعملهم.

إنّ معرفة فلسفة النظام التربوي القرآني مسألةٌ جوهريةٌ؛ إذ من خلالها نعرف الخريطة العملية التي رسمها القرآن الكريم للإنسان، وبها يتمّ معرفة الغايات التربوية القرآنية، ومنها تنبثق أهداف العملية التربوية ومناهجها ووسائلها، والوقوف على حقيقة هذه الفلسفة يمكّننا من وضوح الرؤية، والسير نحو الهدف، خصوصاً ونحن في عالمٍ أصبحت فيه الفلسفات التربوية كثيرة ومتضادّة، فلابدّ من تشخيص الفلسفة التربوية القرآنية في المقام الأول، ومعرفة ما تمتاز به عن الفلسفات الأُخرى.

بعد هذا، سأحاول هنا إجمال فلسفة التربية القرآنية بالمطالب الآتية:

2.2. المطلب الأول: الموازنة بين الدنيا والآخرة في القرآن الكريم:

يضع النظام القرآني فلسفته بالقول بأنّ (الخير والسعادة أو اللذة والألم) يتقاسمهما أمران: الدنيا والآخرة، فهما ليسا مقصورين على الدنيا فقط، أو على الآخرة فقط، وهذه ميزةٌ أساس في النظام التربوي القرآني، ويوضح ذلك من خلال أمرين: «أحدهما بيان أنّ مصالح الفرد ليست محصورة في دائرة المصالح المادّية الدنيوية الضيّقة، بل له جنّة عرضها السموات والأرض أُعدّت للمتقين، والثاني، تربية الجانب الخلقي النبيل في الإنسان، وتنمية قابلياته الأخلاقية الكامنة في نفسه، من صفات الإيثار،

والعطف، والرحمة، والوفاء، والصدق، وما إلى ذلك. وتتصادق كلتا المصلحتين الأُخروية والخُلُقية في تحصيل رضا الله سبحانه وتعالى» (كاظم الحائري، 1422هـ: ص67).

وفي الوقت الذي يقول فيه القرآن الكريم بأنّ (الخير والسعادة) جزءٌ منهما في الدنيا، وجزء في الآخرة، فإنّه يربّي أتباعه ويركّز نظرهم إلى الدار الآخرة، ومع ذلك فهو لا يترك الجزء المتعلّق بدار الدنيا، ويتجلّى ذلك واضحاً في قوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ (سورة القصص، الآية 77)، إذ يصبّ القرآن جلّ عنايته على الدار الآخرة ويقدّمها في هذه الآية، وتتضح تلك العناية في تعبير (ما آتاك)، حيث دعا الباري تعالى الإنسانَ إلى تسخير كلّ الإمكانات المادية والفكرية والعلمية و... وجَعْلِ تلك الإمكانات وسيلةً للوصول إلى الدار الآخرة، ثم يردفها بعدم نسيان النصيب من الدنيا؛ وفحوى الآية ظاهرٌ بعدم الاهتمام بهذه الدار، إلّا بالمقدار اليسير؛ لأنّ هذه الدنيا دار ممرّ كما ورد في كلمات الرسول الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) وإمامنا أميرالمؤمنين (عليه السلام) «الدُّنْيَا دَارُ مَمَرٍّ لَا دَارُ مَقَرٍّ» (الإمام علي (ع)، 1967م: 493)، وما كان ممرّاً جديرٌ بأنْ لا يُولى من الأهمّية الشيء الكثير.

من هنا، كان النظام التربوي القرآني متوازناً وشاملاً لكلّ جوانب الحياة، المادّية والروحية والفكرية، وقد حدّد سبحانه المسارات لهذه الميادين الثلاث (المادة، الروح، العقل) عبر عشرات الآيات التي أوضحت لكلٍّ ميدان خصائصه وضوابطه وما ينبغي أن يكون عليه وما ينبغي أن يسعى إليه، فالجسد والروح والعقل لكلٍّ منها غذاءه الملائم لطبيعته.

2.3. المطلب الثاني: طلب العلم وقرنه بالعمل الصالح في القرآن الكريم:

على صعيدٍ آخر، ركّز القرآن الكريم على أهمّية العلم، وأعطاه المكانة العظمى، وجعله الميزان الذي يتفاوت به الناس، والميزة التي يُعرفون بها، ثمّ أردف العلم بالعمل الصالح، وجعلهما صنوان لا يفترقان، فهما عماد العملية التربوية، فلا علم من دون عمل صالح، ولا عمل صالح من دون علم؛ لذا جاءت آيات القرآن الكريم وفي موارد كثيرة قائلة ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، وهكذا أشارت الأحاديث الشريفة إلى ضرورة العلم وجعله هو الهادي والمرشد، فقد رُوي عن إمامنا جعفر الصادق (عليه السلام) قوله: «العامل على غير بصيرة كالسائر على غير طريق، فلا تزيده سرعة السير إلّا بُعداً» (الصدوق، 1404هـ: 401/4).

فالعلم ما لم تصحبه بصيرةٌ وهدى، وما لم يُزَمّ بزمام التقوى فسيكون وبالاً على الفرد والمجتمع؛ لأنّه سلاحٌ ذو حدّين؛ لذا يقول إمامنا أميرالمؤمنين (عليه السلام): «علمٌ لا يُصْلِحُكَ ضلالٌ» (الواسطي،

(د.ت): ص339)، فالمدار هو الصلاح وعدم الصلاح، صلاح الفرد والمجتمع وحركتهما نحو الله سبحانه، وهذه هي فلسفة التربية في القرآن الكريم.

على النقيض من ذلك، نلحظ تخبّط الإنسان الغربي وعدم استهدائه في حركته بالسنن والنواميس الإلهية والحال التي وصل إليها؛ ممّا دعا المنظمة الدولية للتربية (اليونسكو) إلى طلب القيام بمراجعةٍ شاملة لنظم التربية في العالم المعاصر (فور وزملاؤه، 1976م: ص27)!

هذه الدعوة وهذا الطلب للمراجعة الشاملة للنظم التربوية المعاصرة تُنبئ بمدى الخطر الذي استشعره الإنسان الغربي ووصوله إلى طريق مسدود، الأمر الذي دعاهم للطلب إلى مراجعةٍ شاملة! والجميع يعلم أنّ النُّظم الفلسفية الحاكمة في الدول الغربية تعود في أصولها لكبار فلاسفة الغرب، بدءاً من الثورة الفرنسية فما بعد وإلى يومنا هذا، هي التي تحكم المجتمع الغربي وتُسيّر نظامه التربوي.

إنّ أثر الفصل بين العلم والعمل الصالح نستشعره في كتابات الفيلسوف الفرنسي موران(*) إذ يقول: «تعلّمنا من درس هيروشيما، أن العلم سلاح ذو حدين... لقد رأينا كذلك كيف انّ انتصار الديمقراطية لم يتحقّق بشكلٍ نهائي في أيّ مكان، كما رأينا أنّ التنمية الصناعية يمكن أن تنجم عنها أضرار ثقافية وأنواع من التلوث القاتل، لقد رأينا أن حضارة الرفاهية يمكن أن تكون في نفس الوقت سبباً للشقاء» (موران، (د.ت): 65).

2.4. المطلب الثالث: إعمار الأرض والعبودية لله في القرآن الكريم:

في قبال ذلك كلّه، ومنذ ما يربو عن 1400 عام، أعلن القرآن عن فلسفة نظامه التربوي، الذي لخّصه في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ (سورة الانشقاق: الآية 6)، وقوله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (سورة التوبة: الآية 105)، هذه هي الغاية القصوى والهدف الأعظم، تربية الإنسان وتخلّقه بالأخلاق الإلهية التي يستحقّ بها أن يكون خليفة الله في أرضه التي استعمره فيها سبحانه، وأن يعلم بأنّ عمله وجميع شؤونه هي في محضر الله تعالى ومحضر رسوله (صلى الله عليه وآله) والمؤمنين، إذا أيقن الإنسان ذلك وعلم علم اليقين بأنّه سيُردّ إلى عالم الجزاء ليُنبّأ بما فعل، فإنّ حركته ستستقيم كما أرادها الخالق سبحانه.

هنا تأتي فلسفة هذه العبادات ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِيْ ونُسُكِيْ ومَحْيَايَ ومَمَاتِي لله رَبِّ الْعَالَمِيْنَ﴾ (سورة الأنعام: الآية 162)، فهذه الأفعال التعبّدية الجوارحية وكلّ حركتنا في هذه الدنيا إنّما غايتها الله تعالى؛ إذ ستتوّج هذه الحركة بلقاء الله تعالى، وهذا ما يميّز فلسفة التربية في القرآن الكريم عن غيرها من

العدد العاشر – أيلول – September / 2024

الفلسفات المعاصرة، التي ألغت الغيب والوحي، وشكّكت بهما، وهو مائزٌ أساسٌ وجوهريٌّ – في مجال المقارنة – بين فلسفة النظام التربوي القرآني وفلسفة النظريات التربوية الغربية.

3 .المبحث الثالث: بعض خصائص النظام التربوي القرآني

تتّفق جميع الأديان الإلهية والوضعية على ضرورة التربية وأهميتها، لكن الاختلاف يقع في الطريقة المثلى الواجب اتباعها، وهذه الطريقة المثلى التي هي ضالّة الجميع تتضح معالمها بتلمّس خصائصها من خلال القرآن الكريم. فالقرآن الكريم له خصائصه التي ميّزت نظامه التربوي عن غيره من النظريات والقوانين الوضعية، وهنا سيحاول الباحث عرض أهمّ تلك الخصائص عبر المطالب الآتية:

3.1. المطلب الأول: ربّاني المصدر:

يمتاز النظام التربوي القرآني بخصيصة عظيمة تميّزه عن سائر النظريات التربوية، وهي أنّه ربّانيّ المصدر، وأعْظِم بها من خصّيصة، قال تعالى: ﴿اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتاباً مُتَشابِهاً مَثانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلى ذِكْرِ اللهِ ذلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ﴾ (سورة الزّمر: الآية 23)، وإلى هذا أشار الإمام أميرالمؤمنين (عليه السلام) بقوله: «إن المؤمن لم يأخذ دينه عن رأيه ولكن أتاه من ربه فأخذه، إن المؤمن يرى يقينه في عمله والكافر يرى إنكاره في عمله» (الكليني، 1363ش: 599/2)، وهذا الدّين الذي أخذه العبد عن ربّه – كما يقول الإمام (عليه السلام) – شامل لكلّ نواحي الحياة، ومنها الناحية التربوية بلا شكّ، بل إنّ الدين في أصله ولبّه هو لتربية الإنسان، أفراداً ومجتمعات. وقد ضمن الباري سبحانه سلامة تعاليمه عن كلّ تغيير وتحريف فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ﴾ (سورة الحجر: الآية 9).

على النقيض من ذلك، نلحظ تعدّد واختلاف أصل ومنشأ النظريات التربوية المعاصرة، فمنها ما يمتدّ بأُصوله إلى الفلسفة اليونانية، ومنّها ما يتخذ من الفلسفة القديمة أساساً لعمله التربوي، ومنها ما يعتمد على تحليلات وتنظيرات ورؤى منظّرين وفلاسفة متعدّدين ومختلفين في المشارب الفكرية، كما نلحظ ذلك بوضوح عند الفلاسفة المعاصرين، وغالباً ما تفنّد هذه النظريات بعضها بعضاً، ويُشكل بعضها على بعض، فلا تمضِ مدّة من الزمن إلا وتظهر نظرية تنقض سابقتها، فكيف – والحال هذه – لنا أن نعتمد رؤى وأفكار بشرية سرعان ما يثبت خطؤها؟

إنّ الإنسان العاقل يحكم بفطرته السليمة بوجوب أخذ التنظيرات التربوية وغيرها من عين صافيةٍ لا يشوبها كدر، وهذا ما يقرّره إمامنا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) بقوله: «أَيُّهَا النَّاسُ!

العدد العاشر – أيلول / September 2024

اسْتَصْبِحُوا مِنْ شُعْلَةِ مِصْبَاحٍ وَاعِظٍ مُتَّعِظٍ، وامْتَاحُوا مِنْ صَفْوِ عَيْنٍ قَدْ رُوِّقَتْ مِنَ الْكَدَرِ» (الإمام علي (ع)، 1967م: 152) يخاطب الإمام (عليه السلام) الناسَ ويوصيهم (عليه السلام) بضرورة رعاية مسألة عقلية تقضي بوجوب أخذ العلم عمّن صلحت سيرته وسريرته، فيصفه بـ(الواعظ المتّعظ)، ويشير (عليه السلام) إلى ضرورة النظر إلى نقاوة المنبع المراد أخذ التعاليم منه، فيصفه (عليه السلام) بالعين الرائقة غير الكدرة.

لقد نقلت لنا كتب السير والتأريخ سيرة الرسول (صلى الله عليه وآله) المحمودة، مذ أن كان طفلاً حتّى ارتحل (صلى الله عليه وآله) إلى الباري سبحانه، وقد اجتهد اعداؤه وخصومه في أن يجدوا مغمزةً أو مطعنةً عليه، فما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً؛ إذ لم يجدوا له (صلى الله عليه وآله) كذبة في قولٍ، ولا خطلةً في فعلٍ، بل وجدوه كريم الأصل طيب المحتد، لا مغمزة في أيّ شأن من شؤون حياته (صلى الله عليه وآله) بجميع أبعادها، فقرّروا – بعد عجزهم – رميه بالسحر (*)!

3.2. المطلب الثاني: سمو الغاية وشرفها:

ميّز القرآن الكريم غايته من تربية الإنسان بقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (سورة الذاريات: الآية 56)، وقد جاء في تفسير كلمة (ليعبدون)، أي: ليعرفون، فقد روي عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) قوله: خرج الحسين بن عليّ (عليهما السلام) على أصحابه فقال أيّها الناس إنّ الله جلّ ذكره ما خلق العباد إلاّ ليعرفوه، فإذا عرفوه عبدوه، وإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة من سواه» (الكاشاني، 1415هـ: 75/5)، فإذا عرف الإنسان ربّه استغنى عمّن سواه وفاز بسعادة الدارين، واطمأنت نفسه، وسار بخطىً واثقة نحو تحقيق تلك الغاية الشريفة، قال تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلى عالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (سورة التوبة: الآية 105).

وقد يجيب بعض أتباع الشرائع الأُخرى – اليهود والنصارى وغيرهم – بأنّ غايتهم التربوية كذلك، أي التقرّب إلى الله تعالى ولقائه، ويجاب عن ذلك بأنّ القرآن الكريم والشريعة الإسلامية ناسخة لجميع الشرائع السابقة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخاسِرِينَ﴾ (سورة آل عمران: الآية 35)، وقال تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ ما آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّما هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (سورة البقرة: الآية 137)، فالسبيل واحد ومحدّد، مشخّص بشكلٍ لا لبس فيه، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هذا صِراطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (سورة الأنعام: الآية 153).

لقد ذهبت النظريات التربوية الوضعية يميناً وشمالاً، وسعت جاهدت في وضع غايةٍ لفلسفاتها، فبين قائل بأنّ الغاية هي تحقيق سعادة الإنسان في هذه النشأة فحسب، وآخر جعل تحصيل العلم هو الغاية لأجل تحقيق الرغبات وإشباع الغرائز ومتطلبات النفس الإنسانية، وثالث لم يحرِ سبباً وجيهاً، بل جعل التربية في نفسها هي الغاية من دون أن يعرف لماذا يربّي!

3.3. المطلب الثالث: الشمولية والتكامل:

لم يترك النظام التربوي القرآني شأناً من شؤون الحياة الدينية والدنيوية إلّا وغطّاها بتشريعاته وأحكامه، قال سبحانه: ﴿ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (سورة الأنعام: الآية 38)، وقد ورد عن إمامنا محمد الباقر (عليه السلام): «إنّ الله تبارك وتعالى لم يدع شيئاً تحتاج إليه الأُمّة إلى يوم القيامة إلّا أنزله في كتابه وبيّنه لرسوله» (الكليني، 1363ش: 176/7). تكاملٌ شمل الروح والجسد، وأعطى لكلّ واحدٍ منهما دوره وشأنه في العملية التربوية، فلم يعلي جانب الروح على جانب الجسد، ولا جانب الجسد على الروح، بل هما يسيران معاً في حركةٍ تكامليةٍ تواصليةٍ لا تقاطعية، وهذا الشمول «هو الذي حقّق للإسلام ما لم يتحقّق لعقيدةٍ غيره من تحويل الأمم العريقة التي تدين بالكتب المقدّسة إلى الإيمان به عن طواعية واختيار، كما آمنت به الأُمم المسيحية والمجوسية والبرهمية في مصر وسوريا وفارس والهند والصين» (العقاد، 1971م: 31/5).

إنّ الإنسان يحيا بأبعاده (الروحية والجسدية والعقلية)، «فالإنسان الفرد وحدة متكاملة وقواه المختلفة موحدة الاتجاه، فهو ليس جسماً مستقلاً لذاته عن الروح والعقل، وليس عقلاً منفصلاً لا علاقة له بالجسم والروح، وليس روحاً هائمة بلا رباط من عقل وجسم، بل هو كيان متكامل الأجزاء» (مدكور، 2001م: 79).

وهنا نذكّر برسالة الحقوق للإمام السجّاد زين العابدين (عليه السلام) ربيب القرآن ومدرسة الوحي، تلك الرسالة الشاملة المتكاملة لجميع حيثيات وشؤون الإنسان، الروحية والجسمية والخلقية والاجتماعية، والتي أودع (عليه السلام) فيها مختلف الحقوق، بما يعجز البيان عن وصفها.

على النقيض من ذلك، نلحظ اهتمام النظريات التربوية المعاصرة بالجانب المادي (الجسدي)، وجعله أولوية في كلّ تنظيراتها، في حالةٍ من الغفلة والتغافل للجانب الروحي، مما انعكس سلباً على إنسان اليوم، وصيّره آلة صغيرة تعمل لأجل الانتاج والربح فحسب؛ لذا بدأ الغرب في العقود الأخيرة بمراجعة نقدية لنظرياته وفلسفته في التربية والكون والسعادة، فانفتح على دراسة فلسفات الأُمم الأخرى علّه يجد في إحداها ما يلبّي الجانب الروحي عنده، وهذا ما يعبر عنّه موران(*) بصراحة قائلاً: «أصبح

العدد العاشر – أيلول – September | 2024

الفن الأفريقي، والفلسفات والنزعات الصوفية في الإسلام، والنصوص المقدسة الهندية، وفكر طاو(**)، وفكر البوذية، كلها أصبحت مصادر حية للروح الغربية المنغمسة المسجونة في عالم الفاعلية، والإنتاجية، والفعالية، والتسلية، إذ أصبحت هذه الروح الغربية تتوق نحو السلام الداخلي، ونحو علاقة متناغمة مع الجسد»(موران، (د.ت): 97)، يعكس كلام موران هذا مدى الحالة النفسية التي وصل إليها المجتمع الغربي بسبب انغماسه في عالم المادة وابتعاده عن كلّ ما يسمو بالروح، وتعدّ هذه كلمات بمثابة بحث عن الحقيقة، وعملية نقدية داخلية يمرّ بها الغرب ومفكّروه.

3.4. المطلب الرابع: التدرّج:

أيضاً من الخصائص الهامّة هي خاصية التدرّج، وهي مسألة تتناغم مع الفطرة والقابليات الإنسانية، والتدرّج مسألة عقلائية لبلوغ الأهداف؛ لذا نلحظ قول الإمام أميرالمؤمنين (عليه السلام): «إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق ، ولا تكرهوا عبادة الله إلى عباد الله، فتكونوا كالراكب المنبتّ(*) الذي لا سفراً قطع ، ولا ظهراً أبقى» (العاملي، 1414هـ: 110/1)، وهي إشارة رائعة من الإمام (عليه السلام) إلى مفهوم التدرّج وضرورته، ومن الخطأ حرق المراحل الذي يعود بنتائج سلبية، وربّما تسبّب حالة حرق المراحل نوعاً من الصدمة أو اليأس، وهذا ما أكّدته دراسات علم النفس؛ لذا جاءت التشريعات الإلهية متدرّجة مرحلية، تتناسب والعمر العقلي ومستوى النضوج الجسمي للإنسان.

قال سبحانه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(سورة فصّلت: الآية 39)، فكما انّ الماء حياة للأرض الهامدة، كذلك التعاليم التربوية هي حياة للنفس الإنسانية، «واستخدام هذا التعبير بخصوص الأرض الميتة اليابسة، يعتبر نوعاً من الكناية. فالأرض اليابسة الفاقدة للماء ستخلو من أيّ نوع من أنواع النبات، وستشبه الإنسان الساقط أرضاً أو الميت الذي لا حراك فيه، إلاّ أن نزول المطر سيهب لها الحياة ويجعلها تتحرك وتنمو» (مكارم الشيرازي، 2013م: 12 / 174).

وهنا يقتبس إمامنا أميرالمؤمنين (عليه السلام) لفظ (الأرض) من الآية الشريفة ليوظّفه في العملية التربوية فيقول (عليه السلام): «إنما قلبُ الحدث كالأرض الخالية ما أُلقي فيها من شيءٍ قَبِلَتْهُ» والذي نفيده من هذا القول الشريف، أنّ الأرض يفسدها كثير الماء مثلما يفسدها انعدامه؛ من هنا يشير الإمام (عليه السلام) إلى سمة الاعتدال والتدرج بإلقاء التعاليم التربوية شيئاً فشيئاً، فلا إفراط ولا تفريط.

وقد أشار المصطفى (صلى الله عليه وآله) إلى مسألة التدرّج بقوله (صلى الله عليه وآله): «لاعب ابنك سبعاً، وأدّبه سبعاً، وصاحبه سبعاً، ثمّ اترك له الحبل على الغارب» (الإمام زين العابدين (عليه

السلام)، (د.ت): ص586)؛ ويتّضح من حديث المصطفى (صلى الله عليه وآله) الإشارة إلى المراحل العمرية وما تقتضيه كلّ مرحلة، حتّى إذا وصل الابن مرحلة التكليف صار حرّاً ومختاراً فيما يعتقد، كي يكون مسؤولاً أمام الله سبحانه في اعتقاداته؛ إذ لا تقليد فيها.

وليس التدرّج مطلوب في التربية فحسب، بل نجد القرآن الكريم يعمل بمبدأ التدرّج في أُمورٍ دينية ودنيوية كثيرة، كما في تشريع الأحكام تحليلاً وتحريماً. فعلى صعيد العبادات أمر سبحانه بالتدرّج، كما جاء ذلك في تحريم بعض المشروبات والمأكولات، وهكذا تشريع الأحكام، ومسائل الكفّارات وغيرها كثير. وعلى صعيد الأُمور الدنيوية، كالطلاق الذي يتمّ على مراحل، والعقوبة للناشز، وعقوبة السارق، وغيرها، والآيات في ذلك كثيرة، وربما تكون مادّة خصبة وموضوعاً مستقلاً بذاته لبحث هذه مسألة التدرّج بجميع تفرّعاتها.

3.5. المطلب الخامس: السهولة واليسر:

شرّع الباري تعالى للناس أنظمة محدّدة وواضحة في أهدافها وضمّنها روح اليسر والتخفيف عن المكلّفين ورفع الحرج عنهم، رحمةً منه سبحانه بعباده وتسهيلاً عليهم، فهو سبحانه أجلّ وأعزّ من أن يفرض عليهم ما لا طاقة لهم به، فكان هذا هو الأساس في سنّ التشريعات الإلهية.

لقد بنى القرآن الكريم سائر أنظمته – ومنها النظام التربوي – على مبدأ السهولة واليسر والتخفيف عن المكلّفين، وأعلن ذلك في آياتٍ عديدة، منها قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (سورة البقرة: الآية 185)، ومن ثمّ فقد راعت تشريعاته كلّ الحالات والظروف التي تحيط بالمكلّفين، فهو سبحانه اللطيف بعباده، وهو أعلم بمستوى القابليات والقدرات ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (سورة الملك: الآية 14)؛ لذا جاء قوله سبحانه ليؤكد هذه الحقيقة ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ (سورة البقرة: الآية 286)، وقوله سبحانه: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ (سورة النساء: الآية 28)، «فالإسلام كما هو دين الخير والعدل، فإنّه دين اليسر والعقل» (مغنية، 1421هـ: 33/1).

وتتجلّى هذه السهولة واليسر في إسقاط بعض التكاليف العبادية عن غير المستطيع، فالجهاد مرفوع عن ذوي العاهات والإعاقات، وهكذا الصيام وضعه سبحانه عن فئات محدّدة، وكذا أحكام الصلاة للمريض والخائف والمسافر، وغيرها من الشؤون العبادية، وليست التعاليم التربوية بمعزلٍ عن ذلك كلّه؛ فهذه التكاليف إنّما جاءت لتربية الإنسان بدنياً وروحياً وأخلاقياً.

وقد كان اليسر وعدم تكليف الناس بما لا طاقة لهم به في صلب الحركة النبوية، فقد روي عنه (صلى الله عليه وآله) في كُتب الأحاديث في أبواب الصلاة (باب استحباب تخفيف الإمام الصلاة)

العدد العاشر – أيلول – 2024 / September

أحاديث كثيرة في هذا المجال، أشار (صلى الله عليه وآله) من خلالها إلى ضرورة التسهيل والتخفيف عن الناس، وقد كان ذلك ديدنه (صلى الله عليه وآله) حتّى رُوي عن أنس أنّه قال: «ما صليت خلف أحدٍ قطّ أخف ولا أتمّ صلاة من رسول الله (صلى الله عليه وآله)» (الحلي، 1414هـ: 339/4).

وروي عنه (صلى الله عليه وآله): «من صلى بالناس فليخفف فإنّ فيهم السقيم والضعيف، وإذا صلّى لنفسه فليطل ما شاء». وروي عنه (صلى الله عليه وآله) أيضاً: «أيها الناس انّ منكم منفّرين من صلى بالناس فليخفّف فإنّ فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة» (البيهقي، (د.ت): 115/3).

وليس إيراد مسألة التخفيف في الصلاة إلّا أنموذجاً أردت الاستشهاد به فقط، وإلاّ فمسائل الترخيص والتخفيف عن المكلّفين المعذورين بالعبادات لا تسعها هذه الدراسة.

3.6 المطلب السادس: الأخلاقية:

من الخصائص الفارقة بين النظام القرآني وغيره، هي أخلاقية نظامه، فقد سعى القرآن الكريم عبر نظامه التربوي إلى بناء الأخلاق الفردية والمجتمعية، وجعل قيمة الإنسان هي القيمة العظمى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ﴾ (سورة الإسراء: الآية 70)، وبعد ذلك لا وزن لأيّ قانون وضعيّ يحطّ من قيمة الإنسان وكرامته، ويجعله آلة في مصنعٍ كبيرٍ، ولا اعتبار لقاعدة مكيافيلي(*) القائلة بأنّ (الغاية تبرّر الوسيلة)، بل انّ النتيجة تتبع أخسّ المقدّمات؛ إذ «لا يطاع الله من حيث يعصى» (المحقق الحلي، (د.ت): ص558)، والواقع أنّ هذه القاعدة «تعني استخدام الوسيلة التي توصل للهدف حتّى ولو كانت منافية للعرف والآداب والأخلاق، وهذه قضية يرفضها بالطبع المربّون على أساس أخلاقي، فالوسائل يجب أن تكون مشروعةً ديناً وقانوناً وخلقاً، ويجب ألّا تتعارض مع العرف والتقاليد الاجتماعية» (مرسي، 1983م: ص105)؛ لذا أوجب القرآن الكريم على المتعلِّم أن يكون متربّياً ومتخلّقاً بأخلاق الله قبل سلوكه الميدان العلمي والعملي، كي تقف الأخلاق أمام الرغبات الجامحة في ميدان العلم والعمل، وكي لا تُسحق القيم الإنسانية النبيلة وتُطمس.

لذا يضع الإمام أميرالمؤمنين (عليه السلام) قواعدَ راسخة في مجال الأخلاق والمبادئ، لا يحدّها زمان ومكان، فيقرّر (صلوات الله عليه) بأنّ الوفاء والصدق جُنّة واقية وانّ عاقبة الغدر وخيمة، ويشير (عليه السلام) إلى أنّ هذه المفاهيم انقلبت إلى أضدادها في المجتمعات البشرية التي ترى المنكرَ معروفاً والمعروفَ منكراً!! لذا يقول (عليه السلام): «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الْوَفَاءَ تَوْأَمُ الصِّدْقِ ولَا أَعْلَمُ جُنَّةً أَوْقَى مِنْه، ومَا يَغْدِرُ مَنْ عَلِمَ كَيْفَ الْمَرْجِعُ، ولَقَدْ أَصْبَحْنَا فِي زَمَانٍ قَدِ اتَّخَذَ أَكْثَرُ أَهْلِه الْغَدْرَ كَيْساً، ونَسَبَهُمْ أَهْلُ الْجَهْلِ فِيه إِلَى حُسْنِ الْحِيلَةِ، مَا لَهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّه، قَدْ يَرَى الْحُوَّلُ الْقُلَّبُ وَجْه الْحِيلَةِ ودُونَهَا مَانِعٌ، مِنْ أَمْرِ

اللّه ونَهْيِه، فَيَدَعُهَا رَأْيَ عَيْنٍ بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا، ويَنْتَهِزُ فُرْصَتَهَا مَنْ لَا حَرِيجَةَ لَه فِي الدِّينِ» (الإمام علي (عليه السلام)، 1967م: 83).

وإذا ما قورنت هذه الوصايا العلوية الخالدة بمقولة (الغاية تبرّر الوسيلة)، فسنجد البون الشاسع، وسنجد أنّ هذه المقولة تدعو إلى سحق الأخلاق والقيم، وتجعل الإنسان حيواناً مفترساً، لا يعرف شيئاً غير الوصول إلى غايته فحسب، بصرف النظر عن كلّ الوسائل والطرق التي يسلكها.

في المقابل، نلحظ الفكر التربوي الغربي لا يقيم وزنا للمبدأ الأخلاقي، فهم يؤمنون بنسبية الأخلاق، يؤطّرونها بزمانٍ محدّدٍ، أو يموضعونها جغرافياً! فما هو جائز خارج حدودهم لا يجوز في داخلها!! وعن هذا الواقع الغربي يقول الشهيد الصدر: «كان من جرّاء هذه المادّية التي زخر النظام بروحها أن أُقصيت الأخلاق من الحساب، ولم يحلظ لها وجود في ذلك النظام، أو بالأحرى تبدّلت مفاهيمها ومقاييسها، وأُعلنت المصلحة الشخصية كهدفٍ أعلى، والحريات جميعاً كوسيلة لتحقيق تلك المصلحة، فنشأ عن ذلك أكثر ما ضجّ به العالم الحديث من محنٍ وكوارث ومآسٍ ومصائب» (الصدر، 2004م: ص19).

3.7. المطلب السابع: الواقعية والفطرة:

خصيصة أخرى يتميّز بها النظام القرآني وهي تمتّعه بالواقعية المبنية على معرفةٍ دقيقة وكاملة بماهية الإنسان واحتياجاته، ومن المحال على جهةٍ أو شخصٍ أن يدّعي الاحاطة بتلك الاحتياجات الروحية والجسدية، إلا الله سبحانه؛ لأنّه سبحانه هو الخالق الموجِد، وهو العالم بكلّ شؤون الإنسان، قال تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا﴾ (سورة النساء: الآية 126)، فالتعاليم التربوية في القرآن الكريم – وكلّ تشريعاته الأخرى – واقعية وبعيدة عن المثالية، واقعية في طرحها للأمور ومعالجاتها، وواقعية في طرحها العلمي والمعرفي، تحثّ الإنسان على المعرفة وطلب العلم، وتُعرّف في الوقت نفسه بقدرات الإنسان العلمية التي تقف عند حدّ معيّن ﴿وَما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إلاَّ قَلِيلاً﴾ (سورة الإسراء: الآية 85)، وتتجلّى الواقعية في التربية الإسلامية في كونها «لم تقل بجملة من المبادئ التربوية الخيالية التي يصعب أو يستحيل تطبيقها وتنفيذها على الواقع، وإنّما قالت بما يكفل البناء الحقيقي للشخصية وعلى الواقع... كما قالت التربية الإسلامية بما يكفل البناء الحقيقي للمجتمع وعلى الواقع، حيث قالت بما يبني اقتصاد المجتمع بناءً سليماً وواقعياً... والتربية الإسلامية تربية واقعية في قيامها على العلم والمعرفة، وبعيداً عن الخرافة والتخمينات الساذجة التي لا تستند إلى أساس علمي (القاضي، 2004م: 44).

وبناءً على هذا – وإذا ما أردنا أن نكون واقعيين – فإنّ الحلول التربوية الواقعية موجودة في مدرسة الوحي لا في غيرها؛ لأنّها نابعة من الذات الإلهية المحيطة بجميع أبعاد النفس الإنسانية وحيثياتها.

وهذه الواقعية تتناسق وتتسق مع الفطرة التي فُطر الناس عليها، فطرة التوحيد، فطرة حبّ العدل والإحسان، فطرة السعي نحو الكمال، فطرة قبح الظلم والاستبداد و... ومبحث الفطرة من المباحث الهامة الرئيسة في القرآن الكريم، وقد ورد في تفسير الفطرة في قوله تعالى: ﴿ فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها﴾ (سورة الروم: الآية 30) قال السيد الطباطبائي (ت 1402هـ): «هو لا إله إلا الله محمد رسول الله على أمير المؤمنين وليّ الله. ومعنى كون الفطرة هي الشهادات الثلاث أنّ الانسان مفطور على الاعتراف بالله لا شريك له بما يجد من الحاجة إلى الأسباب المحتاجة إلى ما وراءها وهو التوحيد وبما يجد من النقص المحوج إلى دين يدين به ليكمله وهو النبوة، وبما يجد من الحاجة إلى الدخول في ولاية الله بتنظيم العمل بالدين وهو الولاية والفاتح لها في الاسلام هو علي (عليه السلام)» (الطباطبائي، (د.ت): 187/16).

وفي الشأن التربوي، الإنسان مفطور على حبّ التعلّم واكتساب الفضائل وتزكية النفس، وهذه الفطرة مركوزة في نفس الإنسان ويشهد عليها العقلاء.

3.8. المطلب الثامن: استشعار الرقابة الإلهية:

من الخصائص التي انفرد بها النظام التربوي القرآني هي عقيدة أتباعه بأنّ الله سبحانه حاضر وناظر ومطّلع على الأعمال، صغيرها وكبيرها، قال تعالى: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾ (سورة سبأ: الآية 3)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (سورة النساء: الآية 1)، بل إنّ دائرة الاطلاع والرقابة تشمل الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) والمؤمنون أيضاً، فهم يرون أعمالنا وهي بمحضرهم، قال تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (سورة التوبة: الآية 105)، من هنا فإنّ هذه الميزة الفريدة في التربية القرآنية من شأنها أن تجعل الإنسان مراقباً لنفسه في كلّ آنٍ؛ إذ يقول سبحانه: ﴿هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (سورة الحديد: الآية 4)، وهذا يقتضي المراقبة والمحاسبة الدائمتين للنفس وأفعالها؛ لأنّ المؤمن الذي يعتقد ويوقن بأنّه سبحانه مطلع على أعماله سوف يسعى في أن تكون كلّ أعماله في رضى الله سبحانه.

فحينما يستحضر الإنسان قوله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (سورة ق: الآية 18) وتكون هذه الآية ماثلة أمامه، فالنتيجة هي السيطرة الكاملة على الأقوال، والخوف الدائم، والرقابة المستمرة؛ كي لا يصدر أيّ قول إلا بما يرضي الله سبحانه.

وحينما يستحضر المؤمن قوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إلا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (سورة يونس: الآية 61) فإنّ هذا الاستحضار الدائم يحصّن الإنسان ويبعده عن كلّ أمر غير محمودٍ عنده تعالى.

إنّ الرقابة الذاتية التي يمارسها الفرد المؤمن على أفعاله وأقواله وجميع شؤونه، وحالة الخشية من ألّا تكون هذه الأعمال مرضية لله سبحانه، هذا كلّه يستبطن معنىً آخر، وهو الإيمان بيوم الجزاء، وهاتان الخصلتان (المراقبة الدائمة، والجزاء) خصلتان امتاز بهما النظام التربوي القرآني عن غيره من النظريات الوضعية. إنّ حالة المراقبة والخوف من الجزاء تستبطن معنىً أرقى، وهو (التوحيد)؛ إذ انّ المعرفة، بل الإيقان القلبي بأنّ هناك رقيباً، وأنّ بني البشر راجعون إليه هي من أسمى معاني التوحيد.

إنّ القرآن الكريم ومن خلال إقرار صفة (الرقابة) لله سبحانه إنّما يُريد أن يربّي الضمير الإنساني وينمّي حالة النقد الذاتي، وصولاً إلى (النفس اللّوامة) التي ذكرها الله تعالى في كتابه المجيد ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ (سورة القيامة: الآية 2).

من هنا كان المؤمن الحقيقي، هو المراقب لذاته وسلوكه، وهو في عملية مراجعة مستمرة، لأفعاله كلّها، وحتّى الماضي منها، يسترجعه ويوقفه للمحاكمة، هل كان مخطئاً فيه، فيستغفر الله سبحانه، لذا يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ (سورة الأعراف: الآية 201).

3.9. المطلب التاسع: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

ميزةٌ أُخرى للنظام التربوي في القرآن الكريم ينفرد بها عن سائر النظريات التربوية الوضعية، هي ميزة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

يعتقد الباحث أنّ تفعيل هذه الميزة العظيمة – وخصوصاً في المجال التربوي – يمثّل أحد الطرق الناجعة في مواجهة الهجمة الفكرية التي شملت جميع مفاصل الفكر الإسلامي، وعلى الخصوص المفصل الأخلاقي؛ إذا من شأنها – فيما لو فُعّلت بشكلٍ حقيقيٍّ – أن تمثّل جداراً للصدّ إزاء كلّ ما هو دخيل على فكرنا وثقافتنا وأخلاقنا وعقائدنا، وتقف كل وسائل الإفساد التقني عاجزة أمام هذه الميزة التي

أكّد عليها القرآن الكريم، وأعطاها منزلةً سامية، بحيث فاقت جميع أعمال البرّ كلّها، بما فيها الجهاد في سبيل الله!!

ويخبرنا – عن حقيقة هذا الفرع من فروع الدين – إمامنا أميرالمؤمنين (عليه السلام) بقوله: «ومَا أَعْمَالُ الْبِرِّ كُلُّهَا والْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّه، عِنْدَ الأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ والنَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ، إِلَّا كَنَفْثَةٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ» (الإمام علي (عليه السلام)، 1967م: ص542). وقد جعل الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) من هذه الميزة مقياساً لمعرفة قبول الصلاة، عندما سأله (عليه السلام) سائل كيف نعرف أنّ صلاتنا مقبولة أم لا؟ فقال (عليه السلام): «من أحبّ أن يعلم أقبلت صلاته أم لم تُقبل، فلينظر هل منعته صلاته عن الفحشاء والمنكر، فبقدر ما منعته قُبلت منه» (المجلسي، 1983م: 205/16)، فزجر النفس عن المنكرات هو أوّل خطوة في طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقد جعل الباري هذه الميزة من عزائم الأُمور، فقال سبحانه: ﴿يا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلى ما أَصابَكَ إِنَّ ذلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ (سورة لقمان: الآية 17).

وهي إحدى صفات المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة التوبة: الآية 71).

وكفى بهذه الميزة شرفاً أن يجعلها سيد الشهداء الإمام الحسين (عليه السلام) فلسفة لنهضته الشريفة (عليه السلام) فيقول: «وإنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أُمّة جدّي (صلى الله عليه وآله)، أُريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي وأبي علي ابن أبي طالب (عليه السلام)» (المجلسي، 1983م: 330/44).

في مقابل هذه الأهمية الكبيرة، والحثّ الشديد على عدم ترك أو إهمال هذه الميزة العظيمة، وردت أحاديث شريفة تنبئ بسوء المآل، والخسران الذي سيصيب الفرد والمجتمع فيما لو تركوا العمل بهذه الخصلة.

قال الإمام أميرالمؤمنين (عليه السلام): «لَا تَتْرُكُوا الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ والنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَيُوَلَّى عَلَيْكُمْ شِرَارُكُمْ ثُمَّ تَدْعُونَ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ» (الإمام علي (عليه السلام)، 1967م: ص422)، إذا ما حاولنا تحليل حديث الإمام (عليه السلام) فسيتضح أنّ هذه الميزة لا تقتصر آثارها على الحياة الأُخرى فحسب، بل إنّ لها آثاراً دنيوية تتمثّل في تسلّط الأشرار على مقاليد الأمور، وتحكّمهم في البلاد والعباد؛

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتماعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

وذلك نتيجة لترك العمل بهذه الخصلة الشريفة، والتي من آثار تركها أيضاً عدم إجابة الدعوات، كما أشار الإمام (عليه السلام).

بقي أن أُشير إلى أنّ الباري تعالى كلّف العباد على قدر الطاقة والوسع، وكلٌّ بحسبه، ﴿لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إلاَّ وُسْعَها﴾ (سورة البقرة: الآية 286)، ففرض سبحانه مواجهة المنكر تبعاً للوسع والطاقة، يؤكد هذا المعنى قول إمامنا أميرالمؤمنين (عليه السلام): «وأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ تَكُنْ مِنْ أَهْلِه، وأَنْكِرِ الْمُنْكَرَ بِيَدِكَ ولِسَانِكَ، وبَايِنْ مَنْ فَعَلَه بِجُهْدِكَ» (الإمام علي (عليه السلام)، 1967م: ص393).

بعد هذا العرض الموجز، يتضح بجلاء رئاسة هذه الميزة وتسيّدها على باقي الخصائص، ويتّضح أيضاً أنّ بها قوام الدنيا والآخرة، وأنّها الميزة التي خصّنا الباري بها وحثّنا عليها وحذّرنا عن الغفلة عنها.

على صعيد آخر، فيما يخصّ النظريات المعاصرة التي تعنى بالمجال التربوي، لا نجد حضوراً ذا بالٍ في تنظيراتهم التربوية لهكذا أمر، بل ربّما العكس من ذلك، فقد سمعنا واطّلعنا على متبنيات الفكر الغربي المعاصر في المجال التربوي، وقوانينهم الوضعية بمرأى ومسمع من الجميع، فهم يعدّون ما يأتي به الفرد من الأفعال من باب الحرية الشخصية، ومن ثمّ فلا سلطة لأحدٍ أن يعارض – ولو بكلمة – ما يأتي به الآخرون من أفعال منكرة؛ إذ تمّ تغطيتها وشرعنتها بقانونهم الوضعي، وبالتالي فإنّ الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر عندهم محاسبٌ ومعاقبٌ وفق القانون، الذي كفل الحريات الفردية!

وكان من نتائج هذه الشرعنة التي أصّل فلاسفة الغرب ونظّروا لها، شيوع رذائل الأفعال ومساوئ العادات التي فتكت وتفتك بالمجتمع الغربي، فضاعت كلّ القيم التربوية والأخلاقية في خضمّ هذا الجري المحموم وراء إطلاق الحريات من دون قيدٍ أو شرطٍ، وتركوا التناهي عن الموبقات، حتّى وصل بهم الأمر أن تجري حالات الاغتصاب أمام أعين الناس ولا يحرّكون ساكناً( )!!

في ختام هذا المبحث، يودّ الباحث الإشارة هنا إلى أنّ هذه الخصائص ما هي إلا جزء يسير من خصائص هذا النظام التربوي الإلهي المتكامل، اقتصرت على ذكر أهمّها، رعايةً للاختصار.

الخاتمة والنتائج

لقد اشتمل النظام التربوي القرآني على احتياجات الإنسان الروحية والمادية، ومن هنا كانت خصائص القرآن التربوية متباينة عن غيرها من الخصائص. وحتى الطرق التي يتّبعها القرآن الكريم في التربية، فهي مختلفة؛ لأنّها صادرة عن الخالق سبحانه، وهذا ما تفتقده المدارس التربوية الأخرى.

tasnim-lb.org/index.php tasnim.ijhs@gmail.com

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

أمّا النظريات التربوية الوضعية فلا غاية لها إلّا جلب النفع أو دفع الضرر، وتحصيل السعادة في الدنيا، وتطويع الطبيعة واستغلال مواردها بأقصى حدّ لإشباع الرغبات والميول، وتحقيق كلّ رغبات الإنسان في التسيّد في هذه النشأة، وهذه النظرة المادّية الضيقة إلى العالم دفعت بالفكر الغربي إلى تركيز مفاهيم جديدة عن العالم تتلاءم وهذه النظرة، هذا فضلاً عن بروز مفاهيم وقيم أخلاقية تتلاءم أيضاً مع هذه المادّية، ومن أبرز هذه القيم الأخلاقية السلبية هو التركيز على حبّ الذات وإطلاق الحريات الشخصية واعتبار الإنسان كائناً طبيعياً (فيزيائياً) وقطع كلّ صلة بينه وبين المسائل المعنوية والروحية.

ويسجل الباحث هنا أهمّ النتائج التي توصل لها من خلال البحث، وهي:

1-لقد تضمّن قرآننا الكريم أُصول التربية الحقّة وقواعدها العامة، وقد جاءت تفاصيلها في كلمات الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) وعترته الطاهرة (عليهم السلام) وعلمائنا الربّانيين، والقرآن الكريم والحديث الشريف مَعِينان لا ينضبان لمن أراد أن يستقي منهما أُصوله التربوية.

2-إنّ أهداف التربية القرآنية هي أهداف محدّدة وواضحة وراسخة، أمّا في النظريات التربوية الغربية فالأهداف عندها أهداف متغيرة حسب اقتضاء الزمان والمكان، وهي خاضعة للشروط الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ولكلّ نظرية أهدافها التي يحدّدها واضعو تلك النظريات.

3-يقع التركيز في النظام التربوي القرآني على تربية الإنسان على الأخلاق الفاضلة والسجايا الحسنة، في حين تعنى النظريات التربوية الغربية بالعلوم الصرفة، ولا تأتي مسألة التربية على الأخلاق الفاضلة والسجايا الحسنة إلّا في آخر الاهتمامات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..

المصادر

القرآن الكريم، كتاب الله العزيز.

[1] أميرالمؤمنين، علي بن أبي طالب، 1967هـ، نهج البلاغة، ط1، بيروت.

[2] الحائري، كاظم،1422هـ، تزكية النفس، ط1، قم المقدسة، مؤسسة الفقه للطباعة والنشر.

[3] الحر العاملي، محمد بن الحسن، 1414هـ، وسائل الشيعة، قم المقدسة، مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث.

[4] الحسني، حيدر، د.ت، بحث حول تعريف المعجزة والإعجاز، بحث منشور على شبكة الانترنت.

[5] الحفني، عبدالمنعم، 1999م، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، ط2، القاهرة، مكتبة مدبولي.

[6] الحلّي، الحسن بن يوسف، 1414هـ، تذكرة الفقهاء، قم المقدسة، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث.

[7] الخوئي، أبو القاسم، 1975م، البيان في تفسير القرآن، بيروت، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع.

[8] الشيرازي، محمد، (د.ت)، القرآن يتحدّى، بيروت، مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر.

[9] الشيرازي، ناصر مكارم، 2013، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ط1، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

[10] الصدر، محمد باقر، 2004م، فلسفتنا، قم المقدسة، دار الكتاب الإسلامي.ط1، مطبعة الثقلين.

[11] الطباطبائي، محمد حسين، (د.ت)، الميزان في تفسير القرآن، قم المقدسة، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين.

[12] طرابيشي، جورج، 2006م، معجم الفلاسفة، بيروت، دار الطليعة.

[13] الطريحي، فخرالدين، 1363ش، مجمع البحرين، طهران، مرتضوي.

[14] العقاد، عباس محمود، 1971م، موسوعة عباس محمود العقاد الإسلامية، بيروت، دار الكتاب العربي.

[15] الفتلاوي، محمد كاظم، 2015م، الإعجاز في القرآن الكريم دراسة في التفسير العلمي للآيات الكونية،

[16] الفراهيدي، الخليل بن أحمد، 1409هـ، معجم العين، قم، مؤسسة دار الهجرة.

[17] فور، ايدجار، 1976م، تعلّم لتكون، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

[18] الفيض الكاشاني، محمد محسن، 1415هـ، تفسير الصافي، طهران، مكتبة الصدر.

[19] القاضي، سعيد، 2004م، التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، ط1، القاهرة، عالم الكتب.

[20] القمي، محمد بن علي، 1404هـ، من لا يحضره الفقيه، ط2، قم المقدسة، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين.

[21] الكليني، محمد بن يعقوب، 1363ش، الكافي، ط5، طهران، دار الكتب الإسلامية.

[22] كوك، مايكل، 2013م، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الفكر الإسلامي، ط2، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر.

[23] الليثي، علي بن محمد، د.ت، عيون الحكم والمواعظ، قم المقدسة، دار الحديث.

مَجَلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتماعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

[24] المجلسي، محمد باقر، 1983م، بحار الأنوار، ط2، بيروت، مؤسسة الوفاء.

[25] مدكور، علي أحمد، 2001م، منهج التربية في التصور الإسلامي، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع.

[26] مرسي، محمد منير، 1983م، فلسفة التربية اتجاهاتها ومدارسها، القاهرة، عالم الكتب.

[27] مغنية، محمد جواد، 1421هـ، فقه الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)، قم المقدسة، مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر.

العدد العاشر – أيلول – September / 2024